أماراباك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد الخامس، العدد الخامس عشر (2014). ص ص 15-32

العدول عن الأصل بين المشتقات الصرفية

الجيلي عبد العال إدريس (*)

الملخص: يعالج هذا البحث موضوع العدول عن الأصل بين المشتقات الصرفية ، وقد بدأ بالتعريف بمصطلح (العدول) وتوضيح مفهومه اللغوي والاصطلاحي وتتبع مسيرته في التراث العربي ، متنقلا عبر العصور المختلفة مبينا آراء العلماء ، ومقدما خلاصة أفكارهم ودراساتهم حول العدول. وفي سبيل تحقيق أهداف البحث وغايته والوصول إلى نتائجه فقد استقرأ البحث أنظار أولئك العلماء وما قدموه من تحليلات واستنتاجات أدت الهدف المرجو. ونسبة لكثرة تناول الظاهرة عند العلماء فقد ركزت الدراسة على قسمين هما: العدول بين الأفعال والعدول بين الأسماء بأقسامهما المختلفة كما سيفصلهما البحث. وقد اجتهد البحث بالوقوف على أمثلة للعدول بين المشتقات الصرفية من القرآن الكريم وكلام العرب شعرا ونثرا، وانتهى بعد ذلك إلى نتائجَ تم تدوينها في خاتمة البحث.

الكلمات المفتاحية : العدول ، التناوب ، المشتقات

The Reversed from origin Between Morphological Derivatives

Elgaili Abdelaal Idris

Abstract: This research deals with term (Reversed) between morphological derivatives. First, the concept is defined and then traced through Arab heritage in different ages to explicate linguists' views and demonstrate their significant studies on the Reversed. In order to achieve the desired objectives and access the required results, the researcher deduced these views, analyzed them, and reached their conclusions. Due to the extensive use of Reversed, the study focused on two parts: The Reversed between verbs and nouns with its different details. To conclude, the research had tried to identify examples of Reversed from the Quran and the words of Arab poetry and prose. Finally, the results were reached and had been included

Keywords: Reversed, Alternation , Derivatives.

(*) أستاذ النحو والصرف المساعد كلية العلوم والآداب جامعة الملك خالد فرع بيشة elgailiabdelaal@yahoo.com

المقدمة :

تعتور علوم كثيرة ظاهرة العدول ومن أهمها :علم الصرف الذي يركز على دراسة بنية الكلمة وجوهرها ، ولما كانت الصيغة الصرفية هي الرافد الثاني لمعنى الكلمة فقد كان بديهيا أن تحظى بالعناية من قبل علماء الصرف الذين تقفوا أثر دلالات البنى الصرفية ومعانيها .

والعدول الصرفي هو ترك صيغة صرفية يقتضيها السياق إلى صيغة أخرى تشترك معها في تأدية معناها العام وتفضلها بوجه من الوجوه في السياق الذي ترد فيه كاستعمال المصدر في موضع اسم الفاعل ، واسم الفاعل في موضع اسم المفعول ، أو الماضي بدلا من المضارع وهلمجرا . وقد ينوب الفعل الماضي عن المضارع والعكس وكلاهما ينوبان عن الأمر والعكس، وكذلك اسم الفاعل ينوب عن المفعول والعكس، واسم الفاعل ينوب عن المصدر، والمصدر ينوب عن اسم الفاعل وهكذا دواليك ويمكن إدراج ذلك كله تحت باب التناوب أو العدول عن الأصل بين المشتقات الصرفية .

والعرب تُوقع بعض الأفعال موقع بعض مجازا على سبيل التوسع ، وأن وجه استجازتهم هذا الإبدال مع تضاد الأفعال أن الأفعال جنس واحد وإنما خولف بين صيغها لتدل كل صيغة على زمان غير الذي تدل عليه الأخرى، وإذا تضمن الكلام معنى يزيح الالتباس جاز وضع بعضها في موضع بعض توسعا . (ابن الشجري: 1349هـ : 45/1) .

وإذا أخبر بالفعل المضارع عن الماضي فإن الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يعاينها ويشاهدها (ابن القيم : الفوائد المشوق : 1327هـ :32) .

أما معنى كلمة (عدول) اللغوي أنها: مصدر عَدَلَ يَعْدِلُ أي : مال وجار، والعَدْلُ والعُدُول كلاهما مصدر لعدل عَدْلا وعُدُولا، والعُدُول: الميل عن الشيء أو الطريق ، أو تغيير الجهة أو الرأي، وأن تعدل الشيء عن وجهه تقول : عَدَلْتُ فلانا عن طريقه وعَدَلتُ الدابة إلى موضع كذا: (ابن منظور: لسان العرب ، د . ت (مادة عدل) .

وأما معناه الاصطلاحي فهو خروجٌ عن النمط المتعارف عليه في النظام اللغوي ، أو ميلٌ عن النظام أو الأصل اللغوي . (هنداوي :الإعجاز الصرفي :2001م: 141) وهو بحسب المعنى الثاني: فالعدول عن النية هو تغييرها والانتقال إلى غيرها ، وعده أبو عبيدة أحد أشكال المجاز في القرآن ، وأدخله ابن قتيبة في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه (ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : 1981 م : 290) .

كما عده أبو الفتح من شجاعة العربية (ابن جني : الخصائص :1957م : 444/2) ، وفي موضع آخر يُسميه الحمل على المعنى وهو كثير في اللغة يصفه بالاتساع ويرى أنه وراد في كلام الله سبحانه وتعالى ، وفصيح الكلام منثورا ومنظوما (السابق : نفسه) .

ونسبة لكثرة أنواع العدول فقد تناول هذا البحث العدول عن الأصل بين بعض المشتقات الصرفية وسنبدأ بتناوب الأفعال الثلاثة فيما بينها ونتلوها بتناوب صيغ المشتقات الصرفية التالية : اسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والمصدر .

القسم الأول: العدول في المشتقات الفعلية :

أ/ العدول عن الماضي إلى المضارع (المضارع بمعنى الماضي):

إذا أُتي بالمضارع في حالة الإخبار عن وجود، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، مثل قوله تعالى : (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ)(البقرة : 102)(تتلو) مضارع في معنى الماضي (تلت) والمعنى ما كانت تتلو لا يريدون أن صلة (ما) محذوفة وهي (كانت) و(تتلو) في موضع الخبر وإنما يريدون أن المضارع وقع موقع الماضي كما أنك إذا قلت : كان عمرو يكتب هو إخبار بقيام عمرو وهو ماضٍ لدلالة (كان) عليه .

ومثله قوله تعالى : (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ) (الحجرات :7) فوقع المضارع (يطيعكم) موقع الماضي (أطاعكم) وهو شرط ، قال ابن مالك في الألفية :

لو حرفُ شرطٍ في مُضِيٍّ ويَقِلّْ إيلاؤُه مستقبَلا لكنْ قُبِلْ
وإنْ مضارعٌ تلاها صُرِفا إلى المُضِيِّ نحوُ : (لو يفي كفى)

(ابن مالك : الألفية :1984 م : 55)

يعني أن (لو) يقع بعدها الفعل المضارع فيصرف معناه إلى النفي كقوله : لو يفي كفى ، أي : لو وفى كفى ، ولو هنا هي(لو) الشرطية وهي للتعليق في الماضي كما أن (إنْ) للتعليق في المستقبل (ابن الناظم : د.ت : 709) فذكر الناظم أنّ (لو) لو وقع بعدها فعلٌ مضارع فإنها تقلب معناه إلى الماضي . ومثله قول كثير عزّة :

لو يسمعون كما سمعتُ كلامَها خرُّوا لعزةَ ركَّعا وسُجُودا

(ابن عقيل : د . ت : 398/2)

أي : لو سمعوا .

ومثله قوله تعالى : (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (الأنفال : 47)، قال ابن الحاجب : يحتمل وجهين :

الأول : المراد أن الخروج كان واقعا والصد كان حينئذ فأخبر عن كل بما هو صالح له ، فلما كان الخروج ماضيا أخبر عنه بالماضي، ولما كان الصد حالا أخبر عنه بالحال، أي الذي حصل منهم وهم الآن صادوه .

الثاني : أن يكون الصد أيضا في المضي وإن عبر عنه بفعل الحال تنبيها على فظاعته وعظم المعصية به لما فيه من صورة المقاتلة للرد على سبيل الخير الواجب فعلها والإعانة عليها (ابن الحاجب : الأمالي النحوية : 1985: 142/1) .

ومثله قول الشاعر:

ولقد أمرُّ على اللئيم يَسبُّني فمضيتُ ثُمتَ قُلْتُ لا يَعْنيني

(أمرّ) بمعنى (مررت) لأنه لم يُرد ماضيا منقطعا وإنما أراد أن هذا أمره ودأبه فجعله كالفعل الدائم.

وقيل : (لقد أمر)جواب القسم والمقسم به محذوف وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية .

ومثله:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

أراد كما (جزى سنمار) فوضع المستقبل موضع الماضي . (ابن الشجري: 1349هـ : 102/1) .

وجاء في القرآن الكريم في سياق الحديث عن خلق عيسى عليه السلام، قول الله عز وجل : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (آل عمران : 59)، فقد عدل عن الماضي (كان) إلى المضارع (يكون) فجاء التعبير بالمضارع بمعنى الماضي لأن الإخبار عن أمر قد وقع وانتهى، فالآية جاءت بصيغة الحاضر بدلاً من صيغة الماضي ، جريًا على عادة العرب في الاستعمال ؛ حيث يستعملون صيغة المضارع تعبيرًا عن الماضي ؛ لاستحضار صورة الحدث ، وكأنه يقع الآن وأنهم يعبرون عن الماضي ، كما يعبرون عن الشيء الحاضر ؛ قصدًا لإحضاره في الذهن ، وجاءت الآية الكريمة تبين الكيفية التي خلق الله فيها آدم ؛ لأنه لو قيل: (كن فكان) لصدق هذا التعبير على وجود آدم لحظة واحدة من الزمن ، ولو كان قد مات لحظة خلقه . أما التعبير بصيغة المضارع : (كن فيكون) فيفيد الدوام والاستمرار ؛ وهذا يدل على أن آدم وجد ، واستمر وجوده حتى أنجب ذكورًا وإناثًا ؛ لأن دلالة المضارع تبدأ من الحال ، وتستمر في الاستقبال .

ومثل ذلك قوله تعالى : (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً) (فاطر : 9) فقد عدل عن الماضي (أثارت) إلى المضارع (تثير)لاستحضار تلك الصورة البديعة ، الدالة على القدرة الباهرة من إثارة السحاب ، وكأنها تحدث الآن ، حيث تبدو أولاً قطعًا متناثرة ، ثم تأتلف وتتداخل فيما بينها ، إلى أن تصير ركامًا ، ويتشكل منها الماء . والأمثلة كثيرة على ذلك .

العدول عن المضارع إلى الماضي(الماضي بمعنى المضارع) :

يخبر بالفعل الماضي عن المضارع إذا كان الأخير من الأشياء الهائلة التي لم توجد والأمور المتعاظمة التي لم تحدث فتجعل عن ذلك فيما قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه (ابن القيم:الفوائد المشوق : 1327هـ:32) ، كما يخبر بالماضي عن المضارع لغرض بلاغي قال ابن القيم : (الفعل الماضي إذا أخبر به عن المضارع الذي لم يوجد بعد كان أبلغ وأعظم موقعا وأفخم بيانا لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدوثها) ، ومثال ذلك من القرآن الكريم:(أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)(النحل: 1) جاء بصيغة الماضي والقرينة فلا تستعجلوه لم يقع بعد (استقبال) .

وقيل عبر بالماضي عن المضارع لقرب وقوعه وتحققه وفي ذلك وعيد للكفار(ابن القيم : الفوائد : المشوق :1327هـ :32) .

وقيل هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرا لقرب وقوعه . وقيل : (أتي) هاهنا بمعنى(تأتي) وإنما حسن فيه لفظ الماضي لصدق إثبات الأمر ودخوله في جملة مالا بد من حدوثه ووقوعه فصار يأتي بمنزلة أتى ومضى .

ومثله قوله تعالى : (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ) (الإسراء: 6) وضع (رددنا) موضع (نرد) إذ وقت إخبارهم لم يقع الأمر بعد لكنه لما كان وعد الله في غاية الثقة أنه يقع عبر عن مستقبله بالماضي(أبو حيان : د . ت : 10/6) .

وقولـــه تعـــالى : (وَإِنْ عُـــدتُّمْ عُـــدْنَا) (الإســـراء :8) أورد الماضـــي (عـــدتم) بمعنـــى المضـارع(تعودوا) والمعنـى : وإن تعـودوا إلـى قتـال محمـد عدنا إلـى نصـره والشـرط لا يكـون إلا مستقبلا والمرتب على المستقبل مستقبل لا محالة .

وقيل: وهذا من مجاز التشبيه ، شبه المستقبل في الحقيقة وثبوته بالماضي الذي دخل في الوجود بحيث لا يمكن رفعه (ابن القيم : الفوائد المشوق : 1327هـ : 33) .

ومثله قوله تعالى : (وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً)(إبراهيم: 21) برزوا بمعنى (يبرزون) يوم القيامة وإنما جيء بلفظ الماضي لأن ما أخبر الله به لصدقه وصحته فإنه قد كان ووجد .

وقيل : ورد بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله به فهو صدق وحق فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود(ابن القيم: الفوائد المشوق : 1327هـ : 32) .

مثاله من الشعر قول الحطيئة :

شهد الحطيئة حين يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

أراد يشهد .

وقول الشاعر:

وإني لآتيكم تشكر ما مضى من الأمر واستيجاب ما كان في غد

فوضع الماضي (كان) موضع المضارع(يكون) ولو كان أراد الماضي لقال ما كان في أمس ولكنه عدل عن المضارع إلى الماضي ، كما أن فائدة وضع الماضي موضع المستقبل للدلالة على ثبوت الأمر لأن صيغة الماضي متحققة الوقوع ومثله قوله تعالى : (وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) (الروم : 51) قال الخليل : معناه : ليظلن فأوقع الماضي موقع المستقبل (ابن جني : سر صناعة الإعراب :1993م ، 398/1) .

العدول عن المضارع إلى الأمر (الأمر بمعنى المضارع) :

مثاله قول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: إذا لم تستح فاصنع ما شئت) قالوا : إن هذا صورته صورة الأمر ومعناه معنى الخبر المحض أي من كان لا يستحي فإنه يصنع ما يشتهي ولكنه صرف عن جهة الخبرية إلى صورة الأمر لفائدة بديعة وهي أن العبد له من حيائه أمر يأمره بالحسن وزاجر يزجره عن القبيح، ومن لم يكن من نفسه هذا الأمر لم تنفعه الأوامر .

(ابن القيم : بدائع الفوائد :1972 م :144) .

ومثاله في الذكر الحكيم : (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ) (العنكبوت : 12) ومعناه : اتبعوا سبيلنا ونحمل خطاياكم (ابن القيم : الفوائد المشوق :1327هـ :34) .

ومثله قول الله سبحانه وتعالى : (قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً) (مريم : 75) . قالوا : توكيد للخبر لأن الأمر باللام يجاب فيشبه الخبر به في إيجابه وتقديره : قل من كان في الضلالة يمدد له الرحمن مدا أو مد له الرحمن مدا .

العدول عن الأمر إلى المضارع (المضارع بمعنى الأمر) :

ومثاله قوله تعالى : (وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً) (الأنفال : 65) بمعنى فليغلبوا والمراد التأكيد لأنه خبر تجوز به عن الطلب . ومثل قوله تعالى : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ) (البقرة :228) . معناه : ليتربصن ، وقيل هذه الآية فيها معنى الأمر . (ابن الشجري : 1349هـ : 257/1)

ومثله قوله تعالى : (َالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ) (233: البقرة) ، قيل يرضعن خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى وجه الندب لبعضهن.وقيل خبر عن المشروعية ، وقيل يرضعن مثل يتربصن ، في أنه خبر في معنى الأمر، وقالوا: إن هذا الكلام وإن كان في اللفظ خبرا إلا أنه في المعنى أمر وإنما جاز ذلك لوجهين اثنين :

1/ تقدير الآية (والوالدات يرضعن) في حكم الله الذي أوجبه إلا أنه حذف لدلالة الكلام عليه .
2/ أن يكون معنى (يرضعن) ليرضعن إلا أنه حذف ذلك لتصرف في الكلام مع زوال الإبهام . (ابن القيم : الفوائد المشوق:1327هـ: 34).
ومن الشعر:

قلت لبواب على بابها   تأذن لي إني من أحمائها

يريد لتأذن .

(ابن جني : سرصناعة الإعراب 391/1)

ومثله قوله تعالى : (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (الصف:11) معناه : آمنوا... جاهدوا، لذلك أجيب بالجزم في قوله تعالى : (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ)(الصف:12) ، وفي قراءة ابن مسعود: آمنوا... وجاهدوا(مكرم: 1984: 140/7) .

العدول عن الأمر إلى الماضي (الماضي بمعنى الأمر) :

قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب: إذا وسع الله عليكم فاوسعوا، صلى رجل في إزار ورداء) قيل: ورد الفعل الماضي بمعنى الأمر وهو (صلى) والمعنى (ليصل) رجل . وقال صلى الله عليه وسلم : تصدق امرؤ من ديناره من درهمه) بمعنى ليتصدق .

القسم الثاني: العدول في المشتقات الاسمية :

العدول عن اسم الفاعل إلى اسم المفعول(مفعول بمعنى فاعل) :

عدلت العرب عن استعمال صيغة (فاعل) إلى(مفعول) ومثل ذلك قوله تعالى : (حِجَاباً مَّسْتُوراً)(الإسراء:45) مستورا بمعنى ساترا، والظاهر إقرار (مستورا) على موضوعه من كونه اسم مفعول عن أعين الكفار فلا يرونه ، أو مستورا به الرسول عن رؤيتهم ، ونسب الستر إليه لما كان مستورا به ، وقيل : يؤول معناه إلى أنه ذو ستر كما جاء في صيغة لابن وتامر أي : ذو لبن وذو تمر، وقالوا : رجل مرطوب أي : ذو رطبة ، ومكان مهول أي : ذو هول .

وقيل : يجوز مستورا بمعنى ساتر (اسم فاعل والأخير يجيء بلفظ المفعول كما قالوا : مشئوم وميمون ، ويريدون شائم و يامن) . وقيل : حجابا مستورا أي: حجابا على حجاب ، وقيل : مستورا وصف على جهة المبالغة كما قالوا : شعر شاعر(اللسان: مادة (ستر) ، (أبوحيان : د . ت :6/ 42) ومثله قول الشاعر:

غير مأسوف على زمن ينقضي بالهم والحزن

قيل : (مأسوف) اسم مفعول من الآسف وقيل : (مأسوف) مصدر أريد به اسم الفاعل والتقدير: أنا غير آسف على زمن هذه صفته . (البغدادي : 1979 م: 187) .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً)(مريم:61) أي : (آتيا) قيل : هو على موضوعه من أنه اسم مفعول ، وقيل مفعول بمعنى فاعل (الزمخشري : د . ت :2/ 515)

مررنا بقوم موطوئين ومجازه واطئين (ابن جني : الخصائص: 2/ 448)

هنالك صيغ أخرى تدل على اسم الفاعل :

1/ صيغة (فعيل) للدلالة على (فاعل): (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)(الأنعام :101) . (بديع) بمعنى اسم الفاعل (مبدع) .

2/ صيغة (فُعُول) بمعنى (فاعل) نحو: صبور شكور غفور بمعنى : صابر وشاكر وغافر فتتساوى الصفة في التذكير والتأنيث فتقول : رجل صبور وامراة صبور، رجل شكور وامرأة شكور، رجل غفور وامرأة غفور ولا يصح صبورة وشكورة وغفورة .

أما إذا كانت صيغة (فعيل) بمعنى (فاعل) نحو سميع وعليم وقدير بمعنى سامع وعالم وقادر؛ فيجب التفرقة بين المذكر والمؤنث بتاء التأنيث المربوطة فتقول: رجل سميع وامرأة سميعة، رجل عليم وامرأة عليمة، رجل قدير وامرأة قديرة . (أيمن أمين: الصرف الكافي : ص 181)

3/ صيغة المصدر تأتي للدلالة على اسم الفاعل(من شر الوسواس الخناس)(الناس :4) ، المراد الوسواس واسم الفاعل (الموسوس) .

بعض المصادر والألفاظ تأتي دالة على اسم الفاعل منها قوله تعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)(النور:35) ، بمعنى : منور ومثل قوله تعالى : (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً)(الكهف :41) بمعنى: غائرا، ومثل قوله تعالى : (تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ) (النمل :2) بمعنى : هاديا، ومثل قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) (الإسراء:12) ، يقول أبو حيان:هو من باب أفعل والمراد به غير من أسند أفعل إليه كقولهم: أجبن الرجل إذا كان أهله جبناء وأصفف إذا كان دوابه صفافا فأبصرت الآية إذا كان أصحابها بصراء . (أبو حيان : د.ت : 14/6) .

العدول عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل:(فاعل بمعنى مفعول)

يرد اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول ففي قوله تعالى : (حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ) (الشورى : 16) فقد استعمل اسم الفاعل مكان اسم المفعول أي (داحضة) بمعنى (مدحوضة) ، ويقتضي الاستعمال الصرفي أن لفظة (مدحوضة) في مكان (داحضة) لأن كل مبنى له معنى يؤديه بحسب الأصل وقد يعدل به عن أصله لغرض بلاغي أو نفسي يصير به ذلك الاستعمال ذا معنى عميق يستدل بقرينة

الاستعمال العدولي . ومن ذلك مأورده الثعالبي أن العرب تقول : سر كاتم أي : مكتوم ، ومكان عامر أي : معمور ، قال تعالى : (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ)(الحاقة :21) أي : مرضي بها .

صيغة (فاعل)عند أهل الحجاز معناها العام (المفعول) وأن الصيغتين اختلطتا على ألسنة الشعراء من أجل التفنن في المدح والهجاء والإغراب ويؤكد ذلك قول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقد عدل فيه عن اسم المفعول (المطعم والمكسو) إلى اسم الفاعل الطاعم الكاسي .

ولما طار هذا البيت وبلغ الزبرقان سأل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عنه فقال : ما أراه هجاك ولكنه مدحك ، فقال : سل حسان بن ثابت ، فسألهن فقال حسان : هجاه فحبسه عمر(البغدادي : 1979م: 294/3) .

حيث إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو عالم بالبلاغة يخفى عليه الهجاء بهذا الأسلوب وما ذلك إلا لاختلاف معاني الصيغ بين القبائل .

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وصيغها آخذا من كل منها بنصيب إذ إن هذه الظاهرة (ظاهرة أسلوبية تتصل بالأداء اللغوي في الجملة العربية وهي استعمال صيغة اسم الفاعل والمراد بها صيغة أخرى) (ياقوت : 1992م: 106) .

ومن ذلك أيضا (أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً) (العنكبوت :67) أي : مأمون فيه ، وقال جرير:

إن البلية من تمل كلامه   فانفع كلامك من حديث الوامق

أي : من حديث الموموق.ومثل ذلك قوله تعالى : (لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ)(هود:43) أي: معصوم. وقوله (فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ)(طه: 39).

بعض اللغويين كالخليل وسيبويه والراغب وأبو حيان لا يرون أن اسم الفاعل في الأمثلة السابقة خرج لمعنى المفعول وألا تضاد فيها فقد ردوا ذلك إلى أمور منها :

1/ حمل اللفظ على حقيقته على الفاعلية :

فقد جاء في كتاب التضاد في القرآن الكريم نقلا عن المفردات : يقول الراغب مثلا في (الساحل) : قيل بل تصور منه أن يسحل الماء أي يفرقه ويضيقه .

ويقول في (عاصم) : أي لا شيء يعصم منه ، ومن قال معناه (لا معصوم) فليس يعني أن العاصم بمعنى المعصوم وإنما ذلك تنبيه منه على المعنى المقصود بذلك ، وذلك أن العاصم والمعصوم يتلازمان فأيهما يحصل معه الآخر (المنجد : 1999: 220) .

2/ حمل اللفظ على النسب:

جاء في البحر المحيط قوله تعالى : (خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ)(الطارق: 6):قيل هو بمعنى مدفوق وهي قراءة زيد بن علي وعند الخليل وسيبويه هو على النسب كلابن وتامر أي : ذي لبن وذي تمر وبالتالي دافق : أي ذي دفق . (أبو حيان : د. ت: 455/8) .

يقول ابن عقيل : ينوب (فعيل) عن (مفعول) في الدلالة على معناه ، مثل:مررت برجل جريح وامرأة جريح ، وفتاة كحيل وفتى كحيل، وامرأة قتيل ورجل قتيل ، فناب جريح وكحيل وقتيل عن مجروح ومكحول ومقتول(ابن عقيل : د . ت : 3/ 107) .

ولمصطلح اسم الفاعل في العربية العديد من الدلالات ، منها : دلالة اسم الفاعل على الزمن الماضي كقوله تعالى : (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) (إبراهيم :10) بمعنى (فطر) على جهة الثبوت في الزمن الماضي من غير دلالته على الملازمة والدوام ، وأما اسم فاعله (فاطر) فإنه وصف ثابت في الزمن الماضي غير قابل للحدوث والتغير (هنداوي : 2002م: 221) .

كما يدل اسم الفاعل على النسب إلى الشيء كقوله تعالى : (السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً) (المزّمِّل: 18) حيث جاء اسم الفاعل (منفطر) دالا على النسب أي (ذات انفطار) ، وقوله تعالى: (جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) (يونس :22) بمعنى (ذات عصف شديدة الهبوب) (ابن يعيش : د . ت : 15/6) .

تقول العرب لصاحب الرمح : رامح، ولذي السيف سائف ، ولذي النبل نابل ، ولذي النشاب ناشب ، ويقال رجل دارع إذا كان صاحب درع ، وفاعل هنا ليس جاريا على الفعل بل هو اسم صيغ لصاحب الشيء لكي يدل على اسم الفاعل على النسب (سيبويه:1975: 2/ 91) ، وكأنك تقول هذا درعيّ، ويقال أيضا: القوم سالحون إذا كان عليهم سلاحهم ، ورجل تامر وخابز إذا كان صاحب تمر وخبز، قال تعالى : (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ)(يس :55) أي أصحاب فاكهة ، قال ابن مالك :

ومع فاعل وفعّال فعِل في نسب أغنى عن الياء فقبل

(ابن مالك :1984م : 183)

وكذلك قوله تعالى : (لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً)(الغاشية : 11) ، أي: (كلمة ذات لغو) على النسب ، ومثلها : (جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) (يونس :22) أي (ذات عصف) . وفي قوله تعالى (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) (فصلت :46) أي : بذي ظلم وصيغة فعّال هنا لم تأت للمبالغة .

وللفراء في معاني القرآن تفسير ظاهر لدلالة اسم الفاعل لمعنى اسم المفعول حيث أرجع ذلك لعلتين : أولاهما النكتة البلاغية ، وثانيهما اختلاف اللغات بين القبائل .

العلة الأولى: النكتة البلاغية :

ذلك أنهم يريدون وجه المدح أو الذم فيقولون ذلك لا على بناء الفعل ولو كان فعلا مصرحا لم يقل ذلك فيه لأنك لا تقول للضارب مضروب ولا للمضروب ضارب لأنه لا مدح فيه ولا ذم (الفراء:1955: 3/ 182) .

العلة الثانية: اختلاف اللغات بين القبائل:

أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم أن يجعلوا المفعول فاعلا إذا كان في مذهب نعت كقول العرب : هذا سر كاتم ، وهم ناصب ، وليل دائم ، وعيشة راضية (الفراء: 1955: 3/ 255) .

فإن كان أهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلا وباقي العرب يبقون المفعول على حاله فقد يكون لكل صفة من الصيغ الأخرى اختصاص في الدلالة لدى بعض القبائل ، ثم أخذت هذه القبيلة

عن تلك وعن هذه فظهرت بذرة التضاد في الصيغ الصرفية ثم شاع استخدامها في القبائل حتى اختلط الأمر على جماع اللغة من بعد (المنجد: 1999م: 219) .

قراءة القرآن الكريم تميزها دقة النظر في تفحص تراكيبه التي يتشكل من مجموعها بناء آياته في نظام نحوي معجز لأداء معانيه. ولذلك فإن دقة اختيار الأبنية الصرفية لدقة المعاني ولا يكفي في تفسيرها أن ذلك راجع إلى اختلاف اللهجات التي نزل بها القرآن .

العدول عن اسم المفعول إلى المصدر (المصدر بمعنى اسم المفعول)

علم الصرف علم دلالي لا يقف عند معرفة بنية الكلمة وإرجاعها إلى أصلها فحسب بل يتعدى ذلك إلى دراسة دلالة الصيغ واشتقاقها ومعانيها التي يجود بها السياق .

فالتعبير بالمصدر له دلالة غير تلك التي تظهر عندما يعبر بالفعل ، إن ذلك يكون لحكمة في أداء المعنى القرآني الذي يراد الإشارة له والالتفات إليه وهو في الوقت ذاته إشارة إلى اختلاف المعنى تبعا لاختلاف البنية الصرفية. ومن أمثلة التعبير بالمصدر بمعنى اسم المفعول : قوله تعالى : (فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً) (الكهف :98) ، قال الزمخشري: دكا أي مدكوكا مبسوطا مُسوى بالأرض (الزمخشري : د . ت:2/ 748) .

ومثل قوله تعالى : (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ) (البقرة :255)، أي من معلوماته ،

وكذلك قوله تعالى : (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ)(لقمان :11) أي : مخلوقه ومثل قوله : (لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ) (المائدة :95) ، أي المصيد .

ويجي المصدر على المفعول مثل : لبن حلْب وتريد محلوب وكقولك : (الخلْق) وتريد(المخلوق) ، ويقولون للدراهم : ضرْب الأمير أي: مضروب الأمير (سيبويه : 1975: 43/4) .

قال السيرافي : وأما الحذيا والسقيا فمصدران في الأصل مثل الفتيا والرجعى وإن كانا قد وقعا على المفعول لأن المصدر قد يقع على المفعول كقولهم : درهم ضرب في معنى مضروب، وأنت رجائي في معنى مرجوِّي، واللهم اغفر لنا علمك فينا أي : معلومك من ذنوبنا.(ابن يعيش : د ت : 16/1، 50/6) .

العدول عن المصدر إلى اسم المفعول(اسم المفعول بمعنى المصدر) :

يأتي اسم المفعول بمعنى المصدر وذلك مثل قوله تعالى : (وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ)(الحج: 18) يقول جار الله الزمخشري : وقريء مُكرَم بفتح الراء بمعنى الإكرام إنه يفعل ما يشاء من الإكرام والإهانة (الزمخشري : د . ت: 3/ 149) .

وجاء في اللسان : قال الأخفش وقريء (مكرَم) مثل : مخرج ومدخل (ابن منظور: اللسان مادة : كرم) .

وقد ورد إتيان المصدر على صورة المفعول في كلام العرب ، ومن ذلك قولهم : حلفت محلوفا وكذلك المعقول والميسور والمعسور والمجلود (السيوطي : المزهر:1958م: 2/ 246) ،

فالميسور بمعنى اليسر والمعسور بمعنى العسر، ويقولون دعه إلى ميسوره وإلى معسوره أي : إلى زمن يسره وعسره .

والمرفوع والموضوع بمعنى الرفع والوضع ، وهما ضربان من السير، والمجلود والجلد أي : الصبر ومثله المعقول بمعنى (العقل) : فيقولون : ماله معقول أي : عقل ، قال الراعي النميري :

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا

العدول عن الصفة المشبهة إلى المصدر(المصدر بمعنى الصفة المشبهة):

قد يعدل عن الصفة المشبهة إلى المصدر، يقول فيه ابن جني : هذا رجل دنْفٌوقوم رضا ، ورجل عدْلٌ ، فإن وصفته بالصفة الصريحة قلت : رجل دنِف ، وقوم مرضون ، ورجل عادل ، هذا هو الأصل ، وإنما انصرفت العرب عنه في بعض الأحوال إلى أن وصفت بالمصدر لأمرين : أحدهما صناعي ، والآخر معنوي .

فأما الصناعي: فليزيدك أنسا بشبه المصدر للصفة التي أوقعته موقعها .

وأما المعنوي : فلأنه إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق ، من ذلك الفعل وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه . (ابن جني: الخصائص: 1952: 3/ 259)

قال ابن مالك :

ونعتوا بمصدر كثيرا فالتزموا الإفراد والتنكيرا

(ابن مالك : 1984: 33)

أي : أن العرب تكثر النعت بالمصدر فيقولون : مررت برجل عدْل ، وبرجلين عدل ، وبرجال عدل ، وبامرأة عدل ، وبامرأتين عدل ، وبنساء عدل ، ويلزم حينئذ الإفراد والتذكيروالنعت به على خلاف الأصل لأنه يدل على المعنى لا على صاحبه وهو مؤول: إما على وضع عدل موضع عادل أو على حذف مضاف ، والأصل : مررت برجل ذي عدل ثم حذف (ذي) وأقيم عدل مقامه ، وإما على المبالغة بجعل العين نفس المعنى مجازا وادعاء .

العدول عن الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل(اسم الفاعل بمعنى الصفة المشبهة) :

الصفة المشبهة باسم الفاعل تدل على وصفه به على سبيل الدوام والثبوت ، وقد يعدل عن الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل من ذلك قوله تعالى : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ)(هود : 12) .

فقد عدل عن (ضيق)من باب الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل (ضائق) ليدل على أن الضيق عارض غير ثابت (أبو حيان : د.ت : 452/1) ، كما أن (ضيِّق) أكثر منه استعمالا لأن المقام ليس مقام الدلالة على الثبوت والاستقرار ، بل المقام مقام الدلالة على الحدوث والعوارض ، فلذلك عدل إلى ما يدل عليه وهو صيغة الفاعل(أبو حيان : 1958: 227/5) ولذلك فإن إرادة تثبيت دلالة صيغة أخرى أو نفيها عنها عن طريق العدول بها إلى صيغة أخرى يقابلنا في العدول عن الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل ، فلمّا كانت الصفة المشبهة تدل على الثبوت ، وصيغة اسم الفاعل تدل على الحدوث ، فإذا أريد إثبات صفة الحدوث في صيغة معينة جيء بها على صيغة اسم الفاعل ،

وإذا أريد نفي صفة الثبوت جيء بصيغة اسم الفاعل معدولاً بها عن الصفة المشبهة ، وهـذه سبيل صعبة لا يقيس عليها إلاّ الأفذاذ ممّن وهبوا خفايا فن العدول ، وأدركوا طواياه . وطريقة إشراب صيغة معنى صيغة أخرى معدول عنها إليها من الدلالات التي اتضحت في أغلب أقسام العدول عن الأصل ، ولا سيما في صيغ المشتقات مثل اسم الفاعل، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، واسم المفعول، لتداخل أشكال صيغها ، ولتقارب معانيها، ولذا أمكن إشراب معاني بعض صيغها معاني بعضها الآخر . (الجحيشي:2005: 16) .

العدول عن اسم المفعول إلى الصفة المشبهة(الصفة المشبهة بمعنى اسم المفعول):

يقتصر هذا النوع على صيغة (فعيل) الدالة على الصفة المشبهة وهنالك صيغ أخرى تأتي بمعنى اسم المفعول نحو (فعيلة) وهي ذاتها صيغة (فعيل) مع إلحاق تاء التأنيث والتي تحول المفردة الداخلة عليها من الوصفية إلى الاسمية لكن هذا على كثرته لا يقاس (الاستراباذي : د . ت : 166/7) كما أن مرجعه السماع (الأزهري : د . ت :80/2)

ومن الأمثلة على ذلك : الشيطان الرجيم والأصل : الشيطان المرجوم كما يقال : رُجم به الشيطان في هوائه فصرف من مفعول إلى فعيل لأن الياء أخف من الواو .

كما يقال : كف خضيب ، والأصل : مخضوبة. ولحية دهين والأصل : مدهونة . ورجل جريح ، وصريع كل ذلك أصله الواو؛ لأنه مفعول (ابن خالويه :1989م :21)

ومما يلاحظ هنا أن تعليل العدول تعليل صوتي كما أن العلة في العدول علة دلالية فالوصف (بفعيل) أبلغ من (مفعول) لأنه يدل على الثبوت أو قريبٌ منه ، (فكحيل) أبلغ من (مكحول) و(خضيب) أبلغ من (مخضوب) ، قال الكفوي : الحميد فعيل من الحمد بمعنى محمود وأبلغ منه وهو من حصل له من صفات الحمد أكملها(الكفوي : د . ت : 159/2)

كما أن الوصف بفعيل لا يطلق إلا على من كان الوصف فيه حقيقة فلا يقال : أسير إلا لمن أسر ، في حين تطلق كلمة مأسور على من لم يؤسر، ثم إن صيغة مفعول تدل على الشدة والضعف في الوصف ، بخلاف فعيل التي تدل على الشدة والمبالغة (السامرائي :1981م :62)

العدول عن اسم الفاعل إلى المصدر(المصدر بمعنى اسم الفاعل):

قال سيبويه إن العرب تقول:

ماء غور ومجازه غائر، ورجل عدل ومجازه عادل ، وأتيته ركضا ومجازه راكضا، ومفازة قفر أي مقفِرة، ما أنت إلا نوم، وما زيد إلا أكل وشرب وإنما أنت دخول وخروج ، وبنو فلان لنا سلم أي : مسالمون ، أو هم علينا حرب أي : محاربون) . (الثعالبي : 1938م: 34) .

قال سيبويه : ويقع على الفاعل وذلك قولك : يوم غم ورجل نوم ، إنما تريد النائم والغام (سيبويه: 1975: 43/4).وساق في ذلك قول الخنساء :

ترتع مارتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

علق سيبويه على هذا البيت بقوله : فجعلها الإقبال والإدبار فجاز على سعة الكلام ، كقولك : نهارك صائم وليلك قائم . (سيبويه : 1975: 337/1) . ومن شواهد ابن يعيش :

فإن ترفقي ياهند فالرفق أيمن وإن تخرقي ياهند فالخرق ألأم
فأنت طلاق والطلاق عزيمة ثلاثا ومن يخرق أعق وأظلم
فأتى بلفظ الطلاق وهو مصدر، وأراد اسم الفاعل وهو طالق

قال ابن يعيش معلقا على (أنت طالق ، وأنت طلاق) : ومن ذلك مسائل الطلاق إذا قال أنت طالق طلقت وإن لم ينو؛ ولو أتى بلفظ المصدر فقال : أنت طلاق لم يقع الطلاق إلا بنية لأنه ليس بصريح ، إنما هو كناية على إرادة إيقاع المصدر موقع اسم الفاعل على حد ماء غور أي : غائر)(ابن يعيش : د . ت : 12/1) .

وصف بهذه المصادر كلها للمبالغة كأنهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثرة حصوله منه ، وقالوا: رجل عدل ورضا وفضل ، كأنهم جعلوا العدل والرضاء نفسهما ويجوز أن يكونوا وصفوا المصدر موضع اسم الفاعل لغرض الاتساع .

قال زهير:

متى يشتجر قوم تقل سرواتهم هم بيننا فهم رضا وهم عدل

وشاهده وصف الجمع بالمصدر(ابن جني : الخصائص:1957 م : 202/2)، وكثر مجيء الحال مصدرا نكرة، قال المبرد ومن المصادر ما يقع في موضع الحال فيسد مسده فيكون حالا لأنه ناب عن اسم الفاعل وأغنى غناءه ، قال تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ)(الملك :30) أي : غائرا .

وكذلك قوله تعالى : (فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً)(الكهف:40) قال الزمخشري : صعيدا زلقا أرضا بيضاء يزلق عليها لملامستها ، وزلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر(الزمخشري : د.ت : 2/ 723)

وقال جل من قائل : (ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً)(البقرة :260) أي : ساعيات مسرعات . قال أبو حيان الأندلسي : انتصب سعيا على أنه مصدر في موضع الحال من ضمير الطيور أي : ساعيات(أبو حيان: د . ت : 300/2) .

كثير من النحاة لا يبيحون قياس الوصف بالمصدر وإنما يقصرونه على السماع وهو مؤول بأحد ثلاثة تأويلات :

1/ أن المصدر الدال على الحدث أطلق وأريد منه المشتق الذي هو الدال على الذات وهذا مجاز من باب إطلاق المعنى وإرادة محله .
2/ أنه على تقدير مضاف وهو على هذا مجاز بالحذف .
3/ أنه على المبالغة .

وإذا وضع المصدر موضع اسم الفاعل وجرى مجراه فيجوز لك فيه وجهان :

الوجه الأول : أن تتركه مفردا وتصف به المفرد والمثنى والجمع مثل : أنت طلاق ، وأنتما طلاق ، وأنت طلاق . وهذا رجل عدل ، ورجال عدل ، ونسوة عدل (ابن يعيش : د . ت :12/1) ، وكذلك يقال : رجل عزب وامرأة عزب . لأنه مصدر وصف به فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث كما يقال رجل خصم وامرأة خصم (السيوطي : الأشباه والنظائر :1975 م : 163/4) . قال ابن مالك في الألفية :

ونـعتوا بمـصدر كـثيرا فالـتزموا الإفـراد والتـذكيـرا

والوجه الآخر أن تثنيه وتجمعه فنقول : هذان عدلان ، وهؤلاء عدول ، قال قيس بن الملوح :

وبايعت ليلى في خلاء ولم يكن شهود على ليلى عدول مقانع

قال ابن يعيش : فجمع عدلا ومقانعا (ابن يعيش : د.ت : 1/ 13)

العدول عن المصدر إلى اسم الفاعل(اسم الفاعل بمعنى المصدر):

تقول العرب : قم قائما والمعنى: قم قياما ، كما قال المبرد ، واقعد قاعدا أي : قعودا ، كما يقال: الفاضلة بمعنى الفضل والإفضال ، والعافية بمعنى المعافاة . وكقولهم : فلانة حسنة الدالة ، أي: الدلال (ابن يعيش : د. ت : 3/ 50) .

قال الفرزدق :

على حلفة لا أشتم الدهر مسلما ولا خارجا من فيّ زور كلام

علق سيبويه : فإنما أراد : ولا يخرج فيما استقبل كأنه قال: ولا يخرج خروجا (سيبويه:1975: 1/ 346) فخارجا عند سيبويه مصدر حذف عامله والتقدير: لا أشتم شتما ولا يخرج خروجا من فمي زور كلام ، والذي عليه المحققون أن خارجا مفعول مطلق والأصل لا يخرج خروجا ثم حذف الفعل وأناب الوصف عن المصدر كما عكس في قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ) (الملك :30) قال المبرد: إنما أراد لا أشتم ولا يخرج من فيّ زور كلام فأراد ولا (خروجا) فوضع خارجا في موضعه . (المبرد: 1963م : 269/3)

وكقول سحيم :

عميرة ودع إن تجهزت غازيا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فكلمة ناهيا وإن جاءت على وزن فاعل إلا أنها يصح أن تكون بمعنى المصدر ، قال ابن جني: فالقول أن يكون ناهيا اسم فاعل من نهيت كساع من سعيت ، وسار من سريت ، وقد يجوز أن يكون ناهيا هنا مصدر كالفالج والباطل والغائر ونحو ذلك مما جاء فيه المصدر على فاعل، حتى كأنه قال: كفى الشيب والإسلام للمرء نهيا وردعا (ابن جني : الخصائص د . ت : 2/ 489)

ومن أمثلة ذلك في الذكر الحكيم : قوله تعالى : (َأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ)(الحاقة:5) ، أي بطغيانهم ، قالوا: الطاغية مصدر كالعاقبة فكأنه قال : بطغيانهم ، ويدل عليه قوله تعالى : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا)(الشمس:11)(أبو حيان د.ت: 321/8) ، (اللسان:طغا) .

ومثله قوله تعالى : (فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ)(الحاقة:8) ، أي بقاء وقوله تعالى : (وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ) (المائدة :13) ، قال الزمخشري: أي على خيانة أوعلى فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة وقرئ على خيانة (الزمخشري : د. ت: 616/1) . ومثل قوله تعالى : (لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً) (الغاشية :11) أي : لغوا .

وقال تعالى: (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) (الواقعة :2)، بمعنى التكذيب ، قالوا : المعنى ليس لها تكذيب ولا رد ، فكاذبة على هذا مصدر كالعاقبة والعافية (أبو حيان : د . ت: 203/8) .

ومن أمثلة مجيء اسم الفاعل للدلالة على المصدر :

(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)(غافر:19) ، أي : خيانة . ومثل قوله تعالى : (لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ) (النجم : 58) والمراد : كشف، ومثل قوله تعالى : (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ)(ص :46) ، المراد الإخلاص .

العدول إلى معنى من معاني هذه المشتقات في القرآن الكريم يتعلق بأسرار القرآن الكريم وإعجازه وإتيانه بلغات العرب وصيغها وربما تعلق الأمر بأسرار اللغة العربية ذاتها فهذا ليس غريبا على اللغة العربية إذ إن حرف الاستفهام (الهمزة) قد يخرج إلى معان أخرى يراد منه التسوية أو التقرير أو التهكم وغير ذلك . كما أن حروف النداء وحروف الجر على سبيل المثال تأتي لدلالات أخرى .

كما يتوصل لمبالغة اسم الفاعل باستخدام صيغ المبالغة، وذلك مثل قوله تعالى : (قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) (الأعراف:109) ، فلو قيل : ساحر عالم لما أفاد المبالغة إذ المعنى أنه عالم بالسحر دون قلة أو كثرة ، ولما أريد المبالغة في اسم الفاعل حول (فاعل) إلى صيغة (فعيل) للدلالة على معنى المبالغة حيث أصبح المعنى أن هذا عالم بالسحر ماهر فيه وقولهم : (عليم) أي : بالغ الغاية في علم السحر وخدعه وفنونه (الصابوني : 1976م : 1/ 463) ولذلك نلاحظ عدولا عن اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة (فعيل) أي: (فعيل بمعنى فاعل) .

كما يطلق المصدر على اسم الفاعل للمبالغة مثل قوله تعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (النور:35) نور بمعنى منور لكل شيء بحيث كأنه عين نوره (الصابوني : 1976م : 2/ 345) . ونلاحظ أيضا عدولا عن (اسم الفاعل إلى المصدر) أي : (المصدر بمعنى اسم الفاعل(مفعل) .

ولابد من الإشارة إلى أن أنماط العدول في القرآن الكريم وصوره تند عن الحصر وليس بوسع أي باحث أن يحصرها ، لأن النص القرآني لا يخضع لأي نوع من التقييد الصوري ، ولا يحتكم إلى أسلوب بعينه وإنما هو حدائق ذات بهجة من الأساليب التي لا تنتهي حدودها .

الخاتمة :

حاول هذا البحث رغم امتداده واتساعه وتفرعه دراسة ظاهرة العدول عن الأصل بين المشتقات الصرفية فأمكن من خلال هذه الدراسة التوصل إلى النتائج التالية :

1/ علم الصرف(Morphology) يزود اللغة العربية ويرفدها بالمعاني والألفاظ والمفردات وبالتالي يمكننا القول إنه علم وظيفي توليدي . ومنبع للتراكيب اللغوية والمعاني الصرفية المبتكرة .

2/ غاية العدول الصرفي غاية بلاغية في المقام الأول . وأن خروج هذا الاستعمال عن مقتضى الظاهر لا يؤدي إلى التباس وأن هنالك أغراض ومعاني وعلل وراء ظاهرة العدول .

3/ إن نيابة الصيغ الصرفية فيما بينها تدل على وجود التضاد فيها كما أن الصيغ قد تتعدد على المعنى الواحد بسبب كثرة الاستعمال المجازي لهذه الصيغ الصرفية .

4/ أسهم العدول الصرفي في توسع العرب في توظيف الصيغ الصرفية لإنتاج معاني عديدة غير المعاني الموضوعة لها وبالتالي ففي ظاهرة العدول تنوع في الأساليب واهتمام بالمعنى وتوسع فيه بلا حدود .

5/ ومن بين ثنايا ظاهرة العدول عن الأصل تبرز أهمية المعنى في استنتاج وتحليل صيغ الأبنية الصرفية وهيئتها وتتحقق مقولة كل اختلاف في المبنى دال بلا شك على اختلاف في المعنى .

6/ العدول في النص القرآني وفي صيغ مفرداته بلاغة وسر من أسرار القرآن الكريم وإعجازه .

7/ في أسلوب العدول تحور وتناوب غير معتاد تنتج عنه صيغ صرفية جديدة فيها كثير من المعاني المبتكرة ، وإبداعٌ لغوي وتعبيري كامن فيه تلوين في أسلوب الكلم وصيغه وأشكاله وفيه فائدة لنشاط السامع وإيقاظه وتنبيهه .

8/ العدول من أهم عوامل اللغة العربية لأنه يحمل في طياته معاني بلاغية تدل على معين اللغة وبحرها الزاخر الذي لا ينضب .

9/ ظاهرة العدول تؤكد بوضوح ما تتمتع به لغتنا العربية من اهتمام بالمعنى واللفظ ، وتنوع ووفرة في التعبير عن المعنى المراد بوسائل كثيرة ومتعددة تدل على غزارة مادة اللغة العربية التي يعتبر الاشتقاق أحد مميزاتها .

ثبت المصادر والمراجع

ابن الأنباري ، أبو البركات : أسرار العربية ، تحقيق بهجة البيطار، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، 1957م

ابن جني ، أبو الفتح عثمان : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، طبعة 2، 1957م

ابن جني ، أبو الفتح عثمان : سر صناعة الإعراب ، دراسة وتحقيق حسن هنداوي ، ط2 دار القلم دمشق 1993

ابن الحاجب ، أبو عمرو عثمان بن عمر : الأمالي النحوية ، تحقيق هادي حسن، ط1 ، عالم الكتب، بيروت ، 1985م

ابن خالويه ، أبوعبد الله الحسين بن أحمد : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، تح محمد إبراهيم سليم ، مكتبة الساعي الرياض 1989م

ابن الشجري ، أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة الحسني : دائرة المعارف العثمانية ، ط 1، حيدر أباد الدكن 1349هـ

ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله العقيلي : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، د . ت ، دار الجيل بيروت ، تحقيق حنا الفاخوري

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله : تأويل مشكل القرآن ، شرح أحمد صقر ط 3 المكتبة العلمية 1981

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله : أدب الكاتب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ، القاهرة ، 1958م

ابن القيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد : بديع الفوائد ، تصحيح محمود غانم غيث ، ط 2، القاهرة ، 1972م

ابن القيم الجوزية : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : ابن القيم ، ط1 ، تحقيق محمد بن بدر الدين ، ط1 ، مكتبة الخانجي مصر 1327هـ

ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم : لسان العرب ، إعداد وتصنيف يوسف الخياط ، دار لسان العرب ، بيروت ، د . ت .

ابن الناظم ، أبو عبد الله بدر الدين بن محمد بن مالك : شرح ألفية ابن مالك ، د.ت، دار الجيل بيروت

ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي : شرح المفصل ، بيروت ، عالم الكتب القاهرة، مكتبة المتنبي د . ت

أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف : البحر المحيط، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، د.ت

أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف : البحر المحيط : طبعة دار الفكر، بيروت، ط2، 1958

أبو عبيد ، معمر بن المثنى التيمي : مجاز القرآن، طبعة الخانجي القاهرة د.ت

الأزهري، خالد بن عبد الله : شرح التصريح على التوضيح ، دار إحياء الكتب العربية مصر ، د . ت

الاستراباذي ، رضي الدين : شرح كافية ابن الحاجب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت

البغدادي ، عبد القادر بن عمر : خزانة الأدب ، تح عبد السلام هارون ، القاهرة، الأميرية، ط2، 1979م

تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م

الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد : فقه اللغة وسر العربية ، تح مصطفى السقا وآخرون ، ط3 القاهرة مطبعة مصطفى الحلبي 1938م

الجحيشي ، هلال علي محمود : رسالة دكتوراه بعنوان : العدول الصرفي في القرآن الكريم ، جامعة الموصل 2005م

الجرجاني ، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت 1981م

الجرجاني ، عبد القاهر : أسرار البلاغة ، شرح وتعليق وتحقيق محمد عبد العزيز خفاجة وعبد العزيز شرف ، دار الجيل ، بيروت 1991م .

الجرجاني ، عبد القاهر : أسرا البلاغة تحقيق هيلمو تريتر استانبول 1954م

الجرجاني ، عبد القاهر: أسرار البلاغة تحقيق هيلموتريتر، دار المسيرة بيروت ، ط 3، 1983

الخطيب القزويني ، محمد بن عبد الرحمن : الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح وتعليق وتنقيح عبد المنعم الخفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ط4 ، 1975م

الخنساء، تماضر بنت عمرو: ديوان الخنساء ، بيروت دار صابر1963م

الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر، بيروت ، ط 3، 1972م

الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: الكشاف ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د . ت

العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن السهيل : الصناعتين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخر، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1986م

السامرائي، فاضل صالح:معاني الأبنية في العربية،جامعة الكويت، ط1، 1981م

السكاكي، أبو يعقوب يوسف محمد بن علي : مفتاح العلوم ، شرح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983م

سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب ، تح عبد السلام هارون ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ،1975 م

السيوطي ، جلال الدين : الإتقان في علوم القرآن، القاهرة 1368هـ

السيوطي ، جلال الدين : الأشباه والنظائر في النحو ، تح طه عبد الرؤوف سعد ، القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية 1975م

السيوطي ، جلال الدين :المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تح محمد أبو الفضل وآخرون ط4 ، القاهرة ، مطبعة عيسى الحلبي 1958م

الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير، مكتبة جدة ، مكة المكرمة ، 1976م

الفراء، يحي بن زياد : معاني القرآن ، القاهرة 1955م

الفيروزأبادي ، مجد الدين الشرازي : القاموس المحيط ، مكتبة النوري ، دمشق ، د . ت

الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ، تح عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، 1998م

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد :المقتضب ، تح محمد عبدالخالق عضينة ، بيروت ، عالم الكتب ، 1963م

مراح ،عبد الحفيظ مراح : ظاهرة العدول في البلاغة العربية (مقاربة أسلوبية) ، رسالة ماجستير، الجزائر 2006م .

المسدي ، عبد السلام : الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط2، 1982م

مطلوب ، أحمد : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي 1986م

مكرم ، سالم : معجم القراءات القرآنية ، ط7، الكويت ،1984م

المنجد ، محمود نور الدين : التضاد في القرآن الكريم ، بيروت مطبعة دار الفكر، ط1، 1999م

هنداوي ،عبد الحميد أحمد يوسف : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، بيروت 2001م

ياقوت ، محمود : الصرف التعليمي ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1992م